﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(صَدَقَة تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهم)

بتاريخ [٢٧-٥-٢٠١٦]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (صَدَقَة تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهم)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء وهو الباطن فليس دونه شيء، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله على حين فترة من الرسل فبلغ الرسالة حق البلاغ، وأدى الأمانة حق الأداء، فنسأل الله أن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده، اللهم آمين.

وبعد...

أيُها الإخوة، فكما أننا ننشغل بإصلاح دنيانا علينا أن ننشغل بإصلاح آخرتنا كذلك، وقد دلت على هذا المعنى عدة نصوص من كتاب الله، فرب العزة يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾ [الحشر: ١٨-١٩]. ويقول تعالى مشيرًا إلى التزود للآخرة بزاد كما نتزود في أسفارنا الدنيوية، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ [البقرة: ١٩٧]. أي: يا معشر المسافرين للحج تزودوا لحجكم ولسفركم، ولا تنسوا زادًا هو من أعظم الأزواد بل أفضلها وأعظمها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. فإن تزودتم لأسفاركم بأموالٍ، وطعام، وشرابٍ فلا تنسوا أن تتزودوا لسفر الآخرة بزاد التقوى وهو خير الأزواد على الإطلاق ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. إشارة إلى الزادين: الزاد الدنيوي والزاد الأخروي، وكذلك قال تعالى في كتابه

الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]. أي: تتزينون به، أي: فاكتسوا بالثياب الذي يواري السوءات، ولا يكشف العورات، ولا يحددها، وتزينوا بالزينة التي تريدون أن تتزينوا بها في حدود ما أبحته لكم ولا تنسوا لباسًا هو أعظم من تلك الألبسة جميعها ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾. أي: فاكتسوا بلباس التقوى وتزينوا بلباس التقوى، فذلك خير لباس على الإطلاق، وكذلك قال تعالى في كتابه الكريم مبينًا أيضًا الحث على الزادين زاد الدنيا وزاد الآخرة: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ [النحل: ٨]. ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)﴾ [النحل: ٧]. ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]. أي: و كما بينا سبلكم في الدنيا، وخيولكم، وإبلكم تقلكم إلى مرادكم، فعلى الله أيضًا أن يُبين لكم السبيل الموصل إلى جنته والسبيل الموصل إلى مرضاته حتى تسلكوه حتى تأتموا به ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾. أي: ومن السبل سبل جائرة لا توصل إلى جنة الله، ولا توصل إلى مرضاته.

ولهذا الذي ذُكِر ولغيره فإن أهل الإيمان دومًا في أدعيتهم يسألون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- السعادة في الدارين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ [البقرة: ٢٠١]. فسألوا الله الخيرتين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، قبلها قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠)﴾ [البقرة: ٢٠٠]. أي: ما له في الآخرة من نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ [البقرة: ٢٠١-٢٠٢]. وكذلك قال موسى الكليم وأخوه هارون -عَلَيْهِمُا السَّلَامُ-: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فهكذا ينبغي أن نسأل الله خيري الدنيا والآخرة، فكما نسعى لإصلاح دنيانا نسعى لإصلاح آخرتنا، كما ننشد

الأمن والأمان في دنيانا ننشد الأمن والأمان لآخرتنا كذلك، نرتاد لأنفسنا منزلًا من الجنان -إِنْ شَاءَ الله- ونعده ونهيئه، فكما تهيئ لنفسك منزلًا أو شقة في الدنيا هيء لنفسك -بِإِذْنِ اللهِ- منزلًا في الآخرة منزلًا كريمًا تسكنه، وإلا فقد بخست نفسك حقها وظلمتها أشد ظلم.

هذا، ومن الجالب لخيري الدنيا والآخرة امتثال أوامر الله عمومًا، وكذا أركان الإسلام، وكذا أركان الإيمان، فأذكر بشيء من هذا يتناسب مع الزمان ومع المقام وهو أمر الزكاة وأمر الصدقة، فنحن على مشارف شهرٍ كريمٍ اعتاد الناس أن يخرجوا زكاة أموالهم فيه، ولكن تنكب الكثيرون عن إخراج الزكاة، وبخل الأكثرون بما أتاهم الله من فضله، فبخل أقوام ظانين أن البخل فيه خير لهم، كلا والله؛ فالبخل فيه دمارٌ وإتلاف للأموال، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما مِنْ يومٍ تطلعُ فيه الشمسُ إلَّا بجنبَتَيْها ملَكانِ، يقول أحدُهما: اللَّهمَّ أعط منفقًا خلَفًا». يا رب، أخلف على المنفق المحسن المتصدق «ويقولُ الآخرُ: اللَّهمَّ أعطِ ممسِكًا تلَفًا». ملك كريم يدعو على البخيل والبخيل بالزكاة أن يتلف الله أمواله وأن يدمرها، والملائكة مقربون ودعواتهم أحرى بالإجابة من غيرهم، «اللَّهمَّ أعطِ ممسِكًا تلَفًا». يعني: يا رب أتلف أموال البخلاء، أتلف أموال الممسكين.

وتتوالى النصوص الحاثة على ذلك والآمرة به، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. لا تظن يا بخيل أن بخلك فيه خير لك ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. فكان لزامًا أن نتقي البخل «وأيُّ داءٍ أَدْوَى من البخلِ؟». قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وأيُّ داءٍ أَدْوَى من البخلِ؟». وكان يعلم الصحابة هذه الأدعية: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ البُخلِ، وأعوذُ بِكَ منَ الجُبنِ». إلى آخره يعني يا رب ألجأ إليك أستجير بك كي تنجيني من البخل، ألجأ إليك أستجير

بك كي تعصمني من أن أكون بخيلًا كي تصرف عني هذا الداء القبيح داء البخل، فالبخل داء من شر الأدواء بل شرها، فالنبي سأل بني سلمة: «من سيِّدُكم يا بني سلمةَ؟ قالُوا: سيدُنا الجدُّ بنُ قَيسٍ، على أنَّا نُبخِّلُه، قال: و أيُّ داءٍ أَدْوَى من البخلِ؟ بل سيِّدُكم عمرو بنُ الجموحِ». وكان رجلًا كريمًا يولم على أزواج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إذا تزوج النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فإذا كان البخل مذمومًا في الجملة فهو مذمومٌ أشد وأشد إذا كنت تبخل بالواجب والفرض الذي أوجبه الله عليك، أما وقد أوجب الله الزكاة علينا جميعًا لمن توافرت فيه شروطها، فكان لزامًا أن نبادر بأداء الزكوات، هي ركن من أركان الإسلام «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ». إلى آخر الحديث، فدومًا تأتي مقترنة بإقامة الصلاة متلازمة معها ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]. ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

كذلك تتوالى النصوص المحذرة من التخلف عن أداء الزكاة والمحذرة من العذاب الشديد الذي يحل بمانعها، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ صُفِّحَتْ له صَفائِحُ مِن نارٍ يَومَ القِيَامَةِ فيُكْوَى بها وجهه وجَبِينُهُ في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَنظرُ بعدَ ذلك مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». «مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ ». هذا المال يتحول إلى صفائح من نار يكوى بها وجهه وجبينه، تحمر هذه الصفائح ويُلصَق بعضها ببعض على جسم الشخص كله «فيُكْوَى بها وجهه وجَبِينُهُ في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَنظرُ بعدَ ذلك مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما مِنْ صاحبِ إبِلٍ لا يُؤَدّي زكاتها إلَّا وأتته إبِله يومَ القيامةِ أسمنُ ما كَانَتْ وأعظمُ ما كَانَتْ فيُبطحُ لَها بقاعٍ قرقرٍ». أي: يُفرَش هو نفسه في أرض مستوية «وتأتي عليه إبله أسمنُ ما كَانَتْ وأعظمُ ما كَانَتْ تَنطحُه وتَدوسُه بأقدامِها، كلما مرَ عليه أخراها عادَ عليه أولاها في يومٍ كَانَ مِقدارُهُ خمسينَ ألف سنةٍ ثُمَّ

يَنظرُ بعدَ ذلك مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمن آتاهُ اللهُ بقرًا فلمْ يؤدِ زكاتَها تأتيه بَقرُه يومَ القيامةِ أسمنُ ما كَانتْ وأعظمُ ما كَانتْ، ويُبسطُ لَها بقاعٍ قرقرٍ تمرُ عليه تنطحُه تدوسُه، كلما مرَ عليه أخراها عادَ عليه أولاها في يومٍ كَانَ مِقدارُهُ خمسينَ ألف سنةٍ ثُمَّ يَنظرُ بعدَ ذلك مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وهكذا الأغنام قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «فليأتينَّ أحدُكم يومَ القيامةِ بإبل يَحملُه على رقبتِه لها رغاءٌ فيقولُ: يا رسولَ اللهِ أغثْني، أقول: لا أملكُ لَك شيئًا قد بلغتُكَ ولا يأتي أحدُكم يومَ القيامةِ ببقرةٍ لَها خوارٌ يَحملُها على رقبتِه يقولُ: يا رسولَ اللهِ أغثْني، أقولُ: لا أملكُ لَك شيئًا قَد بلغتُكَ، وكذا صاحب الشياةِ التي يأتي بِها على رقبتِه تيعرُ فيقولُ الرسولُ: قَدْ بلغتُكَ».

صورة أخرى -عِيَاذًا بِاللهِ- من صور العذاب يوم القيامة لمانعي الزكاة «مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِلَ له مَالُه شُجَاعًا أَقْرَعَ يطاردُه وهو يفرُ مِنه». «شُجَاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ». أي: ثعبان عظيم متوحش هائل امتلأ رأسه من السم وظهرت به نقطتان بارزتان من شدة السم «يُطاردُه وهو يفرُ مِنْه يقولُ له: مَن أنت؟ يقولُ: أنا كَنْزُك، أنا مالُكَ، فلا يتركُه فيناولُه يدَه فيقضمُها كما يقضمُ الفحل، ثم يلتفُ حولَ رقبتِه فيدخلُ فَمَه يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، وَشِدْقَهُ الآخَرَ إلى قَفَاهُ». وتلا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. وقد جاءت امرأتان إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفي يديهما سواران من ذهب فقالَ: «أتؤدِّينَ زكاةَ هذا؟ قالتا: لا، قال: أيَسرُّكما أن يُسورَكما اللهُ بسوارٍ من نارٍ يومَ القيامةِ، أديَّا زكاتَها».

نصوص تطرأ للتحذير من منع الزكاة، نصوص تطرأ للأمر بأداء الزكاة، لذا فالصديق أبو بكر قاتل المرتدين، وكان منهم طوائف امتنعت عن أداء الزكاة، قالوا: كنا نعطيها للرسول ومات الرسول فلا زكاة، قال أبو بكر: «واللهِ لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسولِ اللهِ لقاتلتهم على منعِه». أو كما قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىَ وَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فكان من

صنوف الحروب التي خاضها أبو بكر الصديق قتال مانعي الزكاة، فالله الله في أنفسكم، كيف يزر أحدكم على أن يلقى ربه مكللًا بالأغلال تحيط برقبته الحيات والثعابين، كذلك تصفح له الصفائح من نار، فالله الله في أنفسكم، احذروا عذاب الله، واحذروا غضبه، ولا تظنوا أن البخل بها سينمي الثروات، فكم من صاحب ثروة مضى وتركها فتقاتل فيها أولاده وقتل بعضهم بعضًا بسبب التركة المشوبة بالمال الذي لوثها، إن بقاء مال الزكاة في مالك يلوثه ويدنسه، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فبقاء مال الزكاة في مالك يوسخه، ويلوثه، ويدنسه والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قد قال: «إِنَّا آلَ محمدٍ لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، إنما هي أوساخُ النَّاسِ». أي: إذا بقيت في أموالهم وسخت لهم تلك الأموال.

فاتقوا الله في أنفسكم أيُها الإخوة، ومن كان عنده مال فلا يبخل بما آتاه الله، اثنان ونصف بالمائة، من الألف خمس وعشرون، ما طولبتم بشيء كبير، قال تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ [محمد: ٣٧]. أي: إن يطلب منكم شيئًا كبيرًا أو أموالكم كلها ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾. يحرجكم ﴿تَبْخَلُوا﴾. ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾. فإن ربكم ما سألكم شيئًا كثيرًا، إنما هو شيء يسير منكم وإليكم، والله غني عنكم وعن أموالكم، إنما شيء لكم ولإخوانكم تؤخَذ من غنيكم فتُرَد على فقيركم، هل تظنون كما ظن اليهود أن الله فقير؟ الله الغني الحميد ما يحتاج والله منكم إلى شيء؛ فالفضل فضله، والمال ماله، ونحن مستخلفون فيه، والذي أمرنا به هو لنا مني لأخي، فالمسلمون كلهم إخوة، المؤمنون كلهم إخوة، فربنا أرحم بنا من بعضنا ببعضنا، ولذا شرع الزكاة، شرع الزكاة طهرة للأموال، فبقاؤها في الأموال يوسخها وكذلك شفقة ورحمة بالمساكين وبالمصارف الثمانية لأهلها، فأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم كذلك محتسبون أجرها عند الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فإن الله يكرمكم بذلك.

ويا له من فضل إذا أتبعت الفرض بالنفل؛ فإن الله قال في الحديث القدسي: «ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به». الحديث، يا حبذا إذا أتبعت الفرض بالنفل ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)﴾ [البقرة: ١٥٨]. فإذا كان عليك زكاة في مالك تقدر بعشرة فأخرجت عشرين، فيا هنيئًا لك إذا أتبعت الفريضة بالنافلة، وفي الحديث القدسي: «يا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». وفي الحديث النبوي: «يا أسماء، تَصَدَّقِي، وَلَا تُوكي فيُوكى عَلَيْكِ، ولا تُحْصِي، فيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ». يا هنيئًا لك إذا أتبعت الفريضة بالنافلة فدخلت بذلك في عداد المحسنين، إذ المحسن من فعل الفرض وأتبعه بالنفل يترقى بذلك حتى يصل -بِإِذْنِ اللهِ- إلى عداد المحسنين، وكما قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ».

إنكم عند الاحتضار ستنظرون حتمًا يوم تلتف الساق بالساق ماذا قدمتم لغدكم؟ ماذا قدمتم لغدكم؟ ستنظرون حتمًا إلى الأموال وقد تركتموها ستُقسَم، وإذا أتينا إلى ابنك بعد موتك وقلنا له: يا أخي أبوك كان رجلًا كريمًا، تصدق عنه بشيء يسير، انقطع عمله والمال الذي بيدك ماله بعد إذن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فتصدق عن والدك، قد سعى لك طيلة حياته كي يعمر لك بيتًا أو يوفر لك هذا المبلغ تصدق عليه بألف جنيه لمسكينٍ محتاج، أو لفقيرٍ، أو في عمل بر الولد يبخل، فمن الآن بدلًا من أن تعرض نفسك لبخل أبنائك وبخل بناتك اعمل لنفسك شيئًا تلقاه في غدك يوم تلقى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

فالإنفاق، والبذل، والعطاء، وإطعام الطعام، وإكرام الأيتام من أبواب الخير أيُها الإخوة التي لن تكفروها -بِإِذْنِ اللهِ-، قال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾ [آل عمران: ١١٥]. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه (٨)﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. ولا تستقل الصدقة ولا النفقة، فكم من درهم سبق ألف دينار، فيا له من توفيق توفق له، إن ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول

في كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)﴾ [الليل: ٥-٦]. أي: بالجنة والخلف فيها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ [الليل: ٧]. فإذا أعطيت من مالك، واتقيت الله، وصدقت بالخُلف والثواب في الجنة سيهيئك الله لعمل الخير فتعمله وهو سجية لك، تتصدق وأنت سعيد بأنك تتصدق، تُصلي وأنت سعيد بأنك تصلي.

أيُها الأخ الكريم، قد تُحرَم التوفيق للصدقة، قد تُحرَم التوفيق للبذل والعطاء، فهذا غضب من الله عليك وليس حبًا من الله لك، قد تُحرَم التوفيق للصدقة، قد تُحرَم التوفيق للزكاة، لا تظن أن الله حفظ لك مالك كلا بل هو شر لك، وسيأتي على الناس زمانٌ يخرج أحدهم بالصدقة فلا يجد من يقبلها، فقبل أن يُحال بينك وبين التصدق ابذل وأعطِ لمن أُمِرت بإعطائهم، صلوا الأرحام بأموالكم بعد كلماتكم الطيبة، بروا الآباء بالعطاءات، أكرموا الجيران، أكرموا الأضياف، كونوا باذلين للمال في الحق والحلال، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسَلَّطَه على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجل آتاه الله حِكْمَة، فهو يقضي بها ويُعَلِّمَها».

إخواني، أنتم مقدمون على شهر كريم، فبعد الفرض أتبعوه بالنفل، فرسولكم كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود بالخير من الريح المرسلة الريح التي تعم بخيرها وفضلها الناس كلهم رسولنا كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يعطي عطاء الواثق في الله، يعطي عطاء الواثق الموقن بالخلف الموقن بثواب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فأيقنوا أن الله يخلف ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [سبأ: ٣٩].

إخواني، ثم أيتام فقدوا الآباء والأمهات وحال عليهم هذا الحول، والآباء قد ماتوا والأمهات قد ماتوا، أيتام فقدوا الآباء الذين كانوا يدخلون عليهم بالابتسامات، وبالأحضان، وبالطعام والفاكهة، والحلوى، فقدوا هذا الحنان، فقدوا هذا الدفء، فهل

منكم من يكرم اليتيم؟ هل منكم من يكون عوضًا له عن أبيه الذي حُرِمه؟ فقد قال تعالى ناقمًا على أقوام: ﴿كَلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨)﴾ [الفجر: ١٧-١٨]. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩)﴾ [الضحى: ٩]. فتحاضوا فيما بينكم على إكرام الأيتام وعلى البذل والعطاء ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)﴾ [النساء: ٩]. إنك مهما بذلت لليتيم من مال ومهما أتيت له من ملبسٍ لن تعوضه يومًا من حنان أبيه الذي كان يقابله بالابتسامة ويشعر أن له أبًا، ها هو أبوه قد مات ونحن جميعًا معرضون لمثل ذلك، معرضون إلى أن تتيتم بناتنا وأن يتيتم أولادنا، فلنحرص على إكرام الأيتام لعل الله أن يقيض لأبنائنا وبناتنا بعد موتنا من يكرمهم، من يحنو عليهم، من يعطف عليهم.

فابذلوا للأيتام ولن تحرموا الأجر، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وفرجَ بينَ إصبُعَيْهِ». كذا قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وقال: «السَّاعي على الأرملَةِ والمسكينِ كالمُجاهدِ في سبيلِ اللهِ». أو كَالصَّائِمِ اَلَّذِي لَا يُفْطِرُ، وَالْقَائِمُ اَلَّذِي لَا يَفْترُ». فاسعوا على الأيتام، والمساكين، والأرامل والله يكرمكم بذلك، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وهلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟!». كذا قال بعض العلماء: أي: بدعوات ضعفائكم لكم وبإحسانكم إلى الضعفاء يرزقكم الله، فكم من بلية دُفِعت بسبب إحسانك لليتيم، بسبب إكرامك للمسكين، بسبب بحثك من الليل عن امرأةٍ ثكلى تربي أيتامًا كي تعطيها مما أعطاك الله، كم من بلية دُفِعت عنك وأنت لا تشعر بسبب هذا العطاء، فكونوا أجوادًا، لا تكونوا بخلاء بل كونوا أجوادًا كرماء؛ فربكم كريم يحب الكرماء، ربكم كريمٌ يحب أهل الكرم، يحب من أحسنوا إلى خلقه، فكونوا من أهل الإحسان من أهل البذل والعطاء لعل الله أن يدفع عنا، وعنكم، وعن بلادنا، وبلاد المسلمين كل مكروهٍ وكل سوء، فالأمر أمر والقول قوله، وهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. فلا يتسلط قوم على قوم إلا بإذنه، ولا ينكف أذى قومٍ عن قومٍ إلا بإذنه،

فكونوا كرماء، كونوا فضلاء، كونوا أجوادًا، كونوا عطائين، كما أننا نؤدي لله حقه بإقامة الصلاة وقيام رمضان كذلك نؤدي لعباد الله حقوقهم، فالصلاة والزكاة مقترنان كما أن الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول مقترنان ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]. فكذا الأمر بإقامة الصلاة مقترن بالأمر بإيتاء الزكاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. فكونوا باذلين عطائين غير بخلاء؛ فشر الأدواء البخل.

ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ووقانا الله وإياكم شح أنفسنا ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٩]. ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فكما سلف أُمِرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحثنا ربنا على الإنفاق والبذل ووعدنا بالخُلف، فهذا كله في شريعتنا ومن محاسنها، ولا يليق بك وقد أُمِرت بالتصدق أن تأكل أموال اليتامى ظلمًا بل أنت مأمور بالإحسان إليهم، لا يليق بك وأنت مأمور بالإحسان أن تظلم أخواتك البنات وتأكل الميراث، لا يليق بك أن تهضم أجيرًا حقه، أو تغش في بيع أو شراء، فكان لزامًا وحتى تصفو لنا قلوبنا بين يدي هذا الشهر الكريم وحتى تسلم لنا قلوبنا إذا وافينا ربنا فقد قال: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

حتى تسلم لنا قلوبنا من اللوث والوسخ الذي ران عليها علينا أن نرد المظالم إلى أهلها، حتى تنظف القلوب وتصفو ويُزال ما عليها من الران ويُزال ما عليها من الغين علينا أن نؤدي المظالم إلى أهلها، حتى يدخل علينا رمضان وقلوبنا بيضاء صافية نقية ليست

بملوثة وليست بمدنسة فعلينا أن نتحلل من جميع المظالم «مَنْ كَانَتْ له عِندَ أَخِيهِ مَظْلَمَةٌ، مِن مَالِه أَوْ مِن عِرْضِهِ أَوْ أي شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ قَبْلَ أَن لا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إِنَّمَا هِيَ اَلْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ». فانظر هل أكلت مال أحد؟ هل ظلمت أحدًا؟ هل خضت في عرض أحد؟ لأن المظالم مؤداة، الحقوق كلها مؤداة يوم القيامة، لا تغفل هذا، اللام الموطئة للقسم استعملها النبي في قوله: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أَهْلِها يومَ القيامةِ». أي: والله لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة «حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ». إن النبي قال: «إذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا على قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهم بدخولِ الجنَّةِ». أي: فلن يدخلوها إلا إذا نُقوا وهُذبوا وهذه التنقية، وهذه التنقية وهذا التهذيب يتأتى بأن يأتي كل ذي مظلمة يأخذ منك مظلمته إلا أن يتجاوز الله عنك، وحقوق العباد مؤداة إليهم يوم القيامة.

فإذا كان لأحد عندك مظلمة من ماله، أو من عرضه، أو من أي شيء فبادر بأداء المظالم إلى أهلها، واطلب عفو الخالق، وكذلك اطلب عفو الخلق عنك، اطلب عفو الخلق عنك، واطلب عفو الخلاق العليم كذلك، وأكثروا من الاستغفار دائمًا وأبدًا حتى توافوا رمضان -بِإِذْنِ اللهِ- بقلوب قد زال عنها الغان والران، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إذا أذنبَ العبدُ ذنبًا نُكتت على قلبِه نكتة سوداء، فإن تابَ وأقلعَ محيت تلك النكتة، وإن عاد وأصر نُكتت نكتة أخرى سوداء حتى يغطى القلب كله». وتلا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤]. وقال: «هذا الران الذي ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه».

وكذلك فإن النبي كان يقول آمرًا: «يا أيُّها النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ واستَغْفِروه؛ فإنِّي أَتوبُ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ». فكان الاستغفار ولم يزل شعارًا لأهل الفضل وشعارًا لأهل الصلاح من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إلى أن تأتيك منيتك يا عبد الله باب الاستغفار مفتوح، نوح يقول -وهو من أولي العزم من الرسل-: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي

وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾ [نوح: ٢٨]. ويقول: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)﴾ [هود: ٤٧]. ما الذي حمله على قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. سؤال سأله ربه، قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]. هذا الذي اعتبره ذنبًا عظيمًا فقال من أجله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وإبراهيم قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٨٢]. وموسى قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]. وداود ظن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾ [ص: ٢٤]. وسليمان قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ [ص: ٣٥]. فسبيل مقيم لأهل الفضل والصلاح الاستغفار المصحوب بالخشية من الله المصحوب بالخوف من عذاب الله المصحوب بالرهبة من الله، «يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ». به تدفع المصائب ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١٠-١٢].

إخواني، لا يأتيكم رمضان وبينكم تشاحن، وبينكم تدابر، وبينكم تباغض الله ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. امتثلوا أمر الله ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. من كانت بينه وبين أخيه خصومة فليبادر بالوصل، فليبادر بالصلح لا لأمر أحد من الناس إنما هو أمر الله ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. لقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ١٠]. فمن كان بينه وبين أخيه خصومة فليبادر بالصلح قال

تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. هذا كلام الله، هل ترون الصلح شر؟ لا والله أبدًا، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. هذا كلام الله.

وقال رسوله: «تَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ». وقال: «إنَّ المُقْسِطِينَ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ -عَزَّ وَجَلَّ- يومَ القيامةِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا». فهذا شأن المقسطين، فأصلحوا بين الناس، وأصلحوا فيما بينكم وبين سائر خلق الله، انظروا من خاصمتم فاذهبوا إليه وطيبوا الخواطر من أرحام، أو جيران، أو والدين، أو أقرباء، لا يأتيك رمضان وأنت عاق، لا يأتيك رمضان وأنت قاطع للرحم، لا يأتيك رمضان وأنت هاجر للجيران، لا يأتيك رمضان وبينك وبين إخوانك الدعاة إلى الله من أمثالك خصومة بل بادروا بالصلح جميعًا، نمتثل ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. نمتثل ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

المُعان على الذكر من أعانه الله، والموفق للخير من وفقه الله، فليكن من دعائنا ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ [النمل: ١٩]. وكذا في الأخرى ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ [الأحقاف: ١٥]. فاللهم اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا، وما أسرفنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك، اللهم يا ولي الإسلام وأهله أعنا على تقواك ورضاك، أعنا على رد المظالم إلى أهلها، قنا يا ربنا شح أنفسنا، اجعلنا يا ربنا كرماء، أعذنا يا ربنا من البخل ومن الجبن ومن سائر الأدواء، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣]. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم أسكنا الفردوس مع من أنعمت من النبيين، والصديقين،

والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم بلغنا رمضان على خير، واجعلنا من المتخلقين بمكارم الأخلاق من ذوي الأخلاق الكريمة، يا رب اجعلنا من ذوي الأخلاق الكريمة، يا ربنا يا رب العالمين يا ربنا ارحم موتانا وموتى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، وهب المسيئين منا للمحسنين، وسد عنا وعن المدينين يا رب العالمين، صلوا وسلموا على البشير النذير امتثالًا لأمر الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦]. محتسبين الأجر والثواب «مَن صلى عَلَيَّ واحدةً، صلى اللهُ عليه بها عَشْرًا».

ألا وأقم الصلاة

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=j-v_٩١١eFio&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٠١

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share